المورد

مجلة تراثية تصدر سنوية محكمة
المجلد الرابع والعشرون، العدد الاول ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م

WWW.ATTAWEEL.COM

أسماء الكتب

تصدرها دار الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق

دارة

دراسة تحليلية في أقدم كتاب في الأمثال

« امثال العرب »

للمفضل الضبي

دراسة : د. زكي ذاكر العاني

الجامعة المستنصرية ـ كلية الاداب

توطئة

تميز العرب من سائر الامم بالفصاحة والبلاغة واللسن ، وقد حفلت مصادر التراث العربي باخبار حكمائهم وخطبائهم وشعرائهم ، ونثر المصنفون في تضاعيف مصنفاتهم كثيراً من اقوالهم المأثورة ووصاياهم البليغة وأجوبتهم القاطعة وحكمهم الرائعة . وقد عُني الجاحظ أكثر من غيره ببيان منازلهم وأقدارهم في البلاغة والفصاحة في كتابه البيان والتبيين ، وخص ابن عبد ربه جزءاً من كتابه العقد الفريد لإيراد الاقوال المأثورة والحكم البليغة التي نطقت بها العرب . وتسهب سائر المصنفات الادبية في الكلام على حكماء العرب ودهاتها وبلغائها من مثل : أكثم بن صيفي وسحبان وائل وقُس بن ساعدة وعامر بن الضرب العَدْواني والاحنف بن قيس وخالد بن صفوان وشبيب بن شيبة وعبيد بن شَريّه وذَغْفل بن حنظلة وغيرهم من الحكماء والفصحاء المفوّهين .

ولشهرة العرب بالبلاغة واللُسن أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز مُعجزاً قد أحكمت آياته باقانين من القولِ الرائع وضروب من السحر الحلال ، فملك على العرب أسماعهم ، ودخل افئدتهم من غير استئذان ، وصرفهم عن الشرك والوثنية إلى عبادة الواحد القهار . وفي الاسلام لم تعرف العرب أفصح ولا أبلغ من رسول الله (ﷺ) . قال يونس بن حبيب : « ما جاء عن أحد من روائع الكلام ما جاء عن رسول الله (ﷺ) »[1] وقد جرى كثير من كلام الرسول الكريم أمثالاً مثل قوله : هدنة على دَخَن وكلُّ الصيد في جوف الفَرا ولا يُلسع المؤمن من جُحر مرتين[2] وغيرها كثير .

تصدر الحكمة عن القادة والشيوخ والبلغاء فتعبر عن نظرتهم الى الامور وتصور تجربتهم في الحياة وتكشف عن معادن النفوس ، ولا تأخذ العبارة حكم المثل الا اذا كانت معبرة عن مشاعر ابناء الامة مصورة لها في ضمائرهم ، فالمثل في أجلى صوره صوت الشعب ، أو انه سمة شعبية تواضع الناس عليها ، ولابد من ان يكون مرتبطاً بالبيئة التي قيل فيها ، إذ إنّ اتفاق الناس على صواب معناه وجمال مبناه هو الذي يمنحه البقاء والسيرورة[3] . . .

يعود التأليف في الامثال الى القرن الاول الهجري ، فقد ذكر ابن النديم في فهرسته ثلاثة كتب في الامثال : منها كتاب عُبيد بن شريّه الجرهمي الذي استقدمه معاوية بن ابي سفيان من صنعاء ، ليستمع الى احاديثه ، وكتاب صحار العبدي الذي عاش في عهد معاوية ايضاً . وألف غلاقة بن كُرْشم كتاباً في الامثال ذكره ابن النديم وقال : إنه يقع في خمسين ورقة ، وقد وصف غلاقة بانه عارف بأيام العرب وأحاديثها ، وأنه ممن أخذت عنه المآثر . وذكر أن يزيد بن معاوية أدخله في شُمّاره[4] .

أما في القرن الثاني الهجري فقد شهدت الحواضر الإسلامية حركة تدوين وتأليف واسعة ، فظهرت مصنفات أخرى في الأمثال لابي عمرو بن العلاء[5] ويونس بن حبيب والمفضل الضبي وأبي عبيدة والاصمعي وغيرهم من العلماء الرواة[6] ، لكن جميع تلك المؤلفات ضاعت سوى كتاب المفضل الضبي ، فقد وصل الينا برواية علي بن الحسن الهنوسي تلميذ ابن الاعرابي ربيب المفضل الضبي وأشهر تلاميذه . ولقد كان كتاب الامثال للمفضل الضبي اساس كتب الامثال التي تلته وعمدة المصنفين ، فقد اعتمد نقولا منه أبو عبيد القاسم بن سلام[7] ، وعوّل عليه كثيراً أبو طالب المفضل بن سلمة الكوفي[8] ومن جاء بعدهما من المصنفين . وقد نشر كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي في القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ، وطبع بمطبعة الجوائب ، ثم نشر عن هذه الطبعة في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ ، وأعاد الدكتور إحسان عباس نشره في بيروت سنة ١٩٨١ ، معتمداً نشرة الجوائب .

توثيق الكتاب :

يعد الطبري في تاريخه أول من ذكر كتاب الامثال للمفضل الضبي ، فقد روى أنّ الخليفة المهدي طلب من المفضل الضبي أن يجمع الامثال التي سمعها من البدو في كتاب[٩] . وذكر ابن النديم كتاب الامثال ضمن كتب المفضل الضبي . وذكر كل من القفطي والأنباري كتاب الامثال للمفضل الضبي في اثناء ترجمتهما للمفضل .[١٠] وقال الميداني انه نظر فيما جمعه المفضل الضبي من أمثال في اثناء ايراده للكتب التي اعتمد عليها عندما وضع كتابه مجمع الامثال .[١١] وثمة لفويان نقلا من كتاب الامثال للمفضل الضبي نصوصاً كاملة هما : المفضل بن سلمة وأبو بكر محمد بن القاسم الانباري . ويظهر أن كتاب المفضل قد وصل الى الاندلس ، فقد رواه ابن خير الاشبيلي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ عن شيخه الحسين بن هشام عن ابن السيد عن أبي ذر الهروي عن نفطويه عن أبي العباس ثعلب عن أبي العباس الاحول عن ابن الاعرابي عن المفضل الضبي[١٢] . ويظهر أنّ أبا بكر محمد بن القاسم الانباري قد استملى كتاب الامثال عن ابيه القاسم بن محمد الانباري الذي رواه عن أحمد بن عبيد وأبي بكر العبدي كليهما عن ابن الأعرابي .[١٣]

ويبدو ان كتاب الامثال حظي بشهرة لا تقل عن شهرة المفضليات ، فحين ذكر القالقشندي بني ضَبّة قال (واليهم يُنسب الضبي صاحب الامثال[١٤]) . لقد كان كتاب الامثال للمفضل الضبي أول كتاب في العربية يجمع طائفة كبيرة من الامثال العربية وقصصها واخبارها ومناسباتها ، بلا اختصار للرواية ولا اجتزاء للمثل عن الحادثة التي تمخض عنها ، والمناسبة التي قيل في أثنائها ، بحيث يمكن القول إنّ الكتاب لم يكن كتاباً خالصاً في الامثال ، وإنما كان كتاباً في الامثال وفي الايام وفي القصص . فالطابع التاريخي يغلب أحياناً على الطابع الادبي . أما الناحية اللغوية فتكاد تنعدم ، لان ما في الكتاب من شروح وتعليقات لغوية هي من الزيادات التي أدخلها الرواة والناسخون ، ويخيل إليّ انها كانت في الاصل منسوخة على هامشه ، ثم دخلت الى المتن بمرور الزمن وتكرار النسخ . وفي ظني أنّ جُلّ الامثال والقصص التي وردت في الكتاب هو مما سمعه المفضل من الاعراب ، وما أخذه من شيوخه ومعاصريه من العلماء الرواة . ولا يبعد أنْ يكون المفضل الضبي قد وقف على صحف ومدونات احتوت على حكم وأمثال وأشعار ، لكن أمثال الكتاب وردت في اثناء قصص ، وهذه القصص لم تكن مدونة ، وإنما كانت تُروى في البادية ، وفي مجالس العلم والمساجد ، ويتناقلها الناس بطريق الرواية الشفوية .

تناول العلماء كتاب المفضل بالرواية والدرس والشرح ، ونقل منه مصنفو كتب الامثال شيئاً كثيراً ، وكان بعضهم يشير الى المفضل فيما يأخذ عنه أو ينقل من كتابه ، على نحو ما صنع أبو عبيد القاسم بن سلام الذي كان دقيقاً في توضيح طرق الاخذ عن المفضل والافادة من روايته ، فنراه يستعمل عدة تعبيرات مثل قوله : كان المفضل بن محمد فيما حُكي عنه يُحدّث . . . أو كان المفضل يُخبر بأصله ، أو كان المفضل يحدث بهذا المثل ، أو كان المفضل فيما بلغني عنه يذكر . . . أو أن يقول : وحُكي عن المفضل أنه كان يُخبر عن قائله[١٥] . . . وهذه العبارات تدل على أنّ القاسم بن سلام كان يخشى الوهم والسهو في عزو الامثال الى المفضل ، فيحتاط لذلك احتياطاً بعيداً ، لان كتاب المفضل لم يكن في متناوله فيما يظهر . والعالم الاخر الذي أخذ عن المفضل كثيراً هو أبو بكر محمد بن القاسم الانباري . ولقد كان حريصاً على ذكر سنده الذي يتصل بالمفضل الضبي بدقة متناهية .[١٦] اما الطائفة الاخرى من المصنفين الذين استفادوا من المفضل وابوا ان يعترفوا بما افادوا منه ففي مقدمتهم المفضل بن سلمة المتوفى سنة ٢٩١ هـ صاحب كتاب الفاخر . وفي شان كتابه هذا رُوي عن ابي بكر الصولي أنه وجد بيد احد حاضري حلقته مجلساً من كتاب الزاهر للانباري ، فقال : إن هذا منقول من كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة ، وفي المجلس التالي أخرج كتاب الفاخر لشيخه المفضل بن سلمة ، فاملاه على تلاميذه[١٧] ولم يذكر الصولي لمن املى عليهم كتاب الفاخر أن قسماً مما أملاه ليس لابن سلمة فيه فضل ولا جهد ، لانه أيضاً منقول من كتاب آخر هو كتاب الأمثال للمفضل الضبي . وتفصيل ذلك أن النص الواحد يرد في امثال العرب والفاخر والزاهر ثلاثتها بصيغة معينة او رواية واحدة . ولدى تدبر الامر يظهر ان كلًا من المفضل بن سلمة وأبي بكر الانباري ينقل عن كتاب المفضل الضبي . أما الفرق بينهما فيتجلى في ان ابن سلمة يغفل الاشارة الى مصدره الذي نقل منه معظم الاحيان ، بينما يحرص أبو بكر الانباري دائماً على بيان طريقة أخذه بذكر سنده الذي يتصل بالمفضل الضبي نفسه . وياتي الميداني في مجمع الامثال ، فينقل من كتب الامثال التي وصلت اليه الشيء الكثير مختصراً الرواية في معظم الاحيان ، ومشيراً في مقدمته إلى انه رجع إلى خمسين كتاباً ، وينص على أنه نظر فيما جمعه المفضل الضبي والمفضل بن سلمة من أمثال ، ويوضح للقارىء أنه إذا ذكر المفضل مجرداً من أسم الاب واللقب عنى به المفضل بن سلمة ، وإذا ذكر الاخر (كذا) ذكر اسم أبيه[١٨] . لكن المتتبع لما نقله الميداني من المفضل الضبي والمفضل بن سلمة يجد أن الميداني ينقل عن كتابُ المفضل الضبي ، وهو يعزو الرواية الى المفضل مجرداً ، اي الى المفضل ابن سلمة ، لان لفظ المفضل عنده يعني المفضل بن سلمة . فهل هذا يدل على أن كتاب الامثال للمفضل الضبي لم يكن في متناوله ؟ وأنه نتيجة لذلك كان يجهل أن المفضل بن سلمة ينقل عن المفضل الضبي ؟ لقد خرج الميداني على ما هو متبع عند

المصنفين من أنهم يذكرون اسم المفضل مجرداً ، فيعنون به المفضل الضبي وحده ، ولا يشيرون الى المفضل بن سلمة في الغالب إلا بذكر اسمه واسم أبيه ، لان المفضل الضبي أقدم من المفضل بن سلمة وأشهر . فذكر كلمة « المفضل » يُصرف ذهن القارىء إلى المفضل الضبي لا غيره .

والأمر الذي يدعو الى الاستغراب أن الميداني أورد عدة روايات معزوة إلى المفضل (المفضل بن سلمة) ، وهذه الروايات أو الحكايات نفسها ليست في كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة ، وإنما هي في كتاب امثال العرب للمفضل الضبي ، وهذه الامثال وقصصها هي : ماء ولا كصَدّاء ، كذابغة وقد خلِعَ الاديم ، خَلْع الدرع بيد الزوج ، يداكَ أوكتا وفوكَ نفخ ، سدّ ابن بيض الطريق ، ذُلّ لو أجد ناصراً[19] وأورد الميداني المثلين : أمر لمبكياتك لا أمر مضحكاتك ، ويحمل شَنٌّ ويُقذَى لَكَنِز ، وحكايتهما معزوة الى المفضل[20] ، ولا وجود لها في الفاخر للمفضل بن سلمة . والثابت أن اولهما للمفضل الضبي ، فقد عزاه إليه أبو عبيد في كتابه « الامثال »[21] .

وثمة امثال كثيرة تذكر المصادر أن المفضل الضبي كان قد شرحها وبين أصلها . ولكنها ليست في كتاب المفضل المطبوع . ولا ريب في أنها مما سقط من كتابه الذي بين ايدينا اليوم . وقد أورد أبو عبيد بعضاً منها مثل : ليس عبد بباغ لك ، سقط العشاء به على سرحان ، لو لك عويت لم أعوه ، لا مخبأ لعطر بعد عروس ، إنّ الجبان حتفه من فوقه ، هو أرمى من ابن نقن ، لا أفعلُ ذلك ما حنّ حرٌ وما مات مَيْت[22] . ومن الامثال التي فسرها المفضل وهي غير موجودة في كتابه المطبوع : أفقر من غُريان ، أسمع من لاقطة ، أفقر من وخ ، أخبث من أبي رِعلة ، أخبث من ابن سَلْمامة[23] ، عن صبوح ترقيق[24] . وأظن أنّ هذه الامثال كانت ضمن مادة الكتاب الذي لم يصل الينا كاملاً . ولا أشك في أن طائفة كبيرة من الامثال المعزوة إلى المفضل في مجمع الميداني هي للمفضل الضبي ، فقد وضح لنا أنّ لفظ المفضل عند الميداني لا يعني دائماً المفضل بن سلمة كما توهم مقدمة مجمع الامثال ، ولا نظلم الميداني اذا قلنا : إنه لم يكن دقيقاً ولا موفقاً فيما اشار اليه في مقدمة كتابه ، من أنه سيميز المفضل الضبي من المفضل بن سلمة ، وسيعزو لكل منهما قوله أو روايته . فالمحقق أن الميداني خلط بين أقوال المفضلين خلطاً كبيراً ، وأوقع القارىء في حيرة إذ جعله لا يعرف من المقصود بـ (المفضل) فهو حين ينبهنا على أن المقصود بالمفضل المفضل بن سلمة ، نجد في كتابه نصوصاً وروايات مُستلة من كتاب المفضل الضبي معزوة الى المفضل مجرداً من اسم الاب واللقب ، وهي غير موجودة في كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة . فما تفسير هذا الامر؟ وما أسباب هذا الارتباك عند الميداني ؟ . أظن أن الميداني اخذ تلك الامثال وقصصها من مصادر نقلت عن كتاب الامثال للمفضل الضبي وأشارت اليه بلفظ المفضل مجرداً ، لان ذكر اسم هذا الراوي الشهير يُغني عن ذكر اسم ابيه ولقبه . وعندما نقل الميداني من تلك المصادر أو الكتب روايات للمفضل الضبي لم يغيّر من متن الرواية ولا سندها . وما يقوي هذا الاعتقاد ويعززه أنّ الميداني عندما أورد بعضاً من نقولات أبي عبيد القاسم بن سلام لاقوال المفضل (اي المفضل الضبي) أبقى اسم المفضل مجرداً كما أورده أبو عبيد[25] ، فلم يضف من عنده (ابن محمد) أو (الضبي) ليتميز من المفضل بن سلمة هذا الراوي اللغوي المتاخر الذي رغب الميداني في أن يُشير إليه بلفظ المفضل حَسْب .

لقد كان في وسع الميداني أن يبتعد عن هذا الاضطراب ، ويجنب القارىء اللبس بمسايرة المصنفين عامتهم ، واقتفاء اثرهم ، فيعرف المفضل بن سلمة بذكر اسمه كاملاً ، ويستغني بذكر اسم المفضل عن ذكر لقبه ، كما فعل ابن سلام الجمحي وأبو الفرج الاصفهاني والأزهري والجوهري وسواهم من المصنفين واللغويين الذين يستغنون بذكر اسم المفضل عن ذكر اسم أبيه أو لقبه ، غالباً . لقد لحق تراث المفضل في الامثال من فعل الميداني حيف لا يقل عن الحيف الذي لحقه من المفضل بن سلمة . لكنّ الفرق كما يتضح لنا يتلخص في أن الميداني لم يكن يقصد أن ينتهب نصوص المفضل الضبي ، ويعزوها إلى المفضل ابن سلمة ، لان تلك مما لا نفع فيه ولا مصلحة .

ومن المفيد أن نضع اليد على شيء من نصوص المفضل التي نقلها عنه اللاحقون ، ليستبين لنا كيف كان كتاب المفضل في الامثال أساساً لكل كتب الامثال ، يأخذ منه مصنفوها بلا تصرف حيناً ، ويتصرف حيناً ثانياً . ولعل تاشير نصوص كتاب المفضل الضبي الداخلة في الكتب الاخرى ، اللاحقة له خير دليل على صحة النسخة التي بين ايدينا من كتاب امثال العرب وقيمتها العالية : ففي شان المثل « مرعى ولا كالسّعدان » ، ورد في أمثال العرب للمفضل الضبي (زعموا أن امرأ القيس بن حجر الكندي كان مفزكاً ، لا يكاد يحظى عند امرأة ، تزوج[26] امرأة ثَيِّباً ، فجعلت لا تقبل عليه ، ولا تُريه من نفسها ما يحب . فقال لها ذات يوم : أين أنا من زوجك الذي كان قبلُ؟ فقالت : « مرعىً ولا كالسّعدان » فارسلتها مثلاً[27] . ويرد المثل وقصته في الفاخر لابن سلمة على النحو الآتي (كان سبب هذا المثل أنّ امرأ القيس كان مفزكاً ، لا يكاد يحظى عند أمرأة ، فتزوج أمرأة ثَيِّباً ، فجعلت لا تُقبل عليه ، ولا تُريه من نفسها شيئاً مما يحب ، فقال لها ذات يوم : أين أنا من زوجك الذي كان قبلي؟ فقالت « مرعى ولا كالسّعدان » فارسلتها مثلاً)[28] . ويُلاحظ مما سبق أنّ نص المفضل انتقل برمته الى كتاب الفاخر بلا تغيير ، سوى انه في امثال العرب ورد (كان قبلُ) ، وفي الفاخر (كان قبلي)[29] .

وفي شان المثل « أساء سمعاً فاساء جابة » ، ورد في امثال العرب (وزعموا أن سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي كان تزوج صفية بنت أبي جهل بن هشام ، فولدت أنس بن سهل ، فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهة ، فوقفا بخزورة مكة ، وأقبل الأخنس بن شريق الثقفي قال : من هذا ؟ ، قال سهيل : أبني . قال حياك الله يافتى ، اين أمك ؟ قال : امي في بيت أم حنظلة تطحن دقيقاً ، قال أبوه : أساء سمعاً فاساء جابة ، فلما رجعا قال أبوه : فضحني اليوم ابنك عند الأخنس ، قال : كذا وكذا ، قالت : إنما أبني صبي قال : أشبه امرؤ بعض بزّه فارسلها مثلاً)[٣٠] واخذ المفضل بن سلمة نص المفضل الضبي ، واثبته على النحو الآتي : (قولهم ساء سمعاً فاساء إجابة ، أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، أخو بني عامر بن لؤي ، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن هشام ، فولدت أنس بن سهل ، فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهة ، فوقفا بخزورة مكة ، وأقبل الأخنس بن شريف الثقفي ، فقال : من هذا ؟ ، فقال سهيل : أبني . قال الأخنس حياك الله يافتى . قال : لا والله ما أمي ثَمّ ، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً ، قال أبوه : ساء سمعاً فاساء إجابة ، فارسلها مثلاً ، فلما رجعا قال أبوه : فضحني ابنك اليوم عند الأخنس . قال : كذا وكذا . قالت : إنما أبني صبي قال : أشبه امرؤ بعض بزّه فارسلها مثلاً .)[٣١] .

ويلاحظ أنّ بين نص المفضل الضبي ونص ابن سلمة شيئاً يسيراً من الاختلاف ، سببه سقوط بعض الكلمات من النسخة المحققة من كتاب الفاخر . وقد نبه المحقق الى اختلاف نسخ الفاخر في الهامش ، وأشار إلى ورود جملة (أين أمك) في احدى النسخ . ومعنى هذا أن عبارة المفضل الضبي الآتية (حياك الله يا فتى : أين أمك ؟ قال : أمي في بيت أم حنظلة تطحن دقيقاً) أسلم من العبارة التي في الفاخر وهي (حياك الله يا فتى ، قال : لا والله ما أمي ثَمّ انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً .) ويلاحظ أن المفضل بن سلمة حذف ـ كدأبه في كل مرة ـ عبارة المفضل الضبي : (زعموا أنّ . . .) التي اعتاد المفضل أن يفتتح بها قصص أمثاله ، وما عدا ما أشرت اليه من اختلاف ، يجد القارىء تطابقاً واتفاقاً بين هيأة النص في كتاب المفضل الضبي وهيأة النص نفسه وهو في كتاب الفاخر . وأحب أن اكتفي بالإشارة الى الامثال وقصصها التي نقلها المفضل بن سلمة من كتاب المفضل الضبي ، بدلاً من إيرادها والمقابلة بين هيأتها وهي في كتاب أمثال العرب للضبي وهيأتها وهي في الفاخر لابن سلمة لان في ذلك إطالة غير محمودة ، وأظن أن الاحالة الى مواضع النقل تُغني عن المزيد . أما الامثال وقصصها المنقولة فهي ، المثل : أسرع من نِكاح أم خارجة وقصته ، وقد نقله ابن سلمة عن المفضل بلا إشارة اليه . ونقل المثل المذكور وقصته ابو بكر الانباري في الزاهر ، لكنه اسنده الى المفضل الضبي ، والمثل : تسمع بالمُعيدي خير من ان تراه وقصته نقله ابن سلمة ايضاً عن المفضل الضبي نصاً بلا اشارة اليه ، ونقله أبو بكر الانباري بسند يتصل بالمفضل الضبي[٣٢] . وترد في كتاب الفاخر قصص الامثال الآتية : بيهس واخوته وامثال هذه القصة هي : لو خُيّرتُ لاخترت ، ألبس لكل حالةٍ لبوسها ، يا حبذا الثراث لولا الثُلة ، تكل أرأمها ولداً ، مكره اخوك لا بطل . ويرد المثل : رمتني بدائها وانسلت وقصته ، والمثل : قد يضرط الغيّر والمكواة في النار وقصته ، والمثل ساء سمعاً فأساء جابة وقصة المثل : صحيفة المُتلمّس ، والمثل : سَمّن كليك يأكلك وقصته ، والمثل : بأبي وجوه اليتامى وقصته . لكن ابن سلمة لا يشير إلى المفضل في هذه النقولات الكثيرة[٣٣] منه وا أسفاه ، بيد أنه كان في مواضع أخرى سوى ما ذكرت يُشير عند النقل الى المفضل الضبي صاحب النصوص المنقولة . وهي : المثل : آكل لحمي ولا أذعُهُ لاكل وقصته ، والمثل : اليك يساق الحديث وقصته ، والامثال الثلاثة : الحديث نو شجون ، وسبق السيف العذل ، وأسعداً أم سعيد وقصتها ، والمثل : قد أنصف القارة من راماها وقصته[٣٤] .

وخلاصة ما تقدم أن المفضل بن سلمة أسقط من كتاب الامثال للمفضل الضبي في موضع واحد ما يُقدّر بثماني عشرة صفحة من القَطْع الكبير سوى صفحات متفرقة اخرى ، وهوَ قَدْر لعمري كبير ، لم أر من نبّه عليه وأنكره على الناقل ! ويظهر أن كتاب المفضل كان في متناول أبي حاتم السجستاني (ت ٢٣٥ هـ) فقد نقل منه المثل : لعلني فُضّلُ كعامر وقصته نصاً ، لكنه صحح رواية المفضل بقوله (وإنما المثل : حسبتني مُضلّلاً كعامر)[٣٥] ويبدو أنّ الكتاب كان في متناول ابن قتيبة ايضاً ، فقد نقل نَصّين في كتابيه : عيون الأخبار والشعر والشعراء بلا تصرف[٣٦] . ونقل الصفدي (ت ٦٨١ هـ) قصة المثل (ما يوم حليمة بِسر) من أمثال المفضل مشيراً إلى صاحب النص[٣٧] . أما أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) فقد نقل قصصاً كاملة من كتاب المفضل ، وحَرَص على تبيان طريقة أخذه بدقة . أما النصوص التي نقلها فهي : قصص الأمثال الآتية : العاشية تهيج الآبية ، الصّيف ضيّعت اللّبن ، ماء ولا كصَداء ، أسرع من نِكاح أم خارجة ، أنجز حرّ ما وعد ، قد حَلَمَ الأديم ، سبق السيف العذل[٣٨] .

ومن الواضح أن كتاب الأمثال للمفضل الضبي لم يبق نقياً على الهيأة التي كان عليها في زمن مصنفه ، فثمة تعليقات وشروحات وإضافات مختلفة تخللته . وفي وسعنا تأشير شيء من العبارات والفقرات أو الزيادات المقحمة على الكتاب بلا كبير عناء ، فمن ذلك أقوال حبيب بن عيسى كلها : هذه الاقوال التي دخلت في الكتاب تغير من رواية المفضل أو تضيف إليها[٣٩] . وقد خُيّل للمستشرق ألهايم أن المفضل روى عن حبيب بن عيسى حقاً[٤٠] .

وعلى الرغم من أني لم أقف على ذكر له أو ترجمة فيما تيسر لي من مصادر، أرجح أنه من العلماء الناسخين الذين عاشوا بعد المفضل. ومن الزيادات التي دخلت الكتاب قول قائل (وهذا غلط من المفضل لان بيهساً هو الاسد، وليس ببيهس الذي يُلقب بنعامة، ويدلك على ذلك البيت الذي بعده وهو لابي الأحام التغلبي)[41]. وقول قائل (كذا قال المفضل وإنما اسم الغنوية البسوس واسم ناقتها سراب)[42]. ومن الفقرات المقحمة خطبة قس بن ساعدة الإيادي، والتعريف بهذا الخطيب، والفقرات التي يرد فيها ذكر لغويين متأخرين عن المفضل مثل الكسائي والطوسي وابن الأعرابي وغيرهم[43]. ونقف على زيادات تتمثل في تعليقات نحوية او صرفية هي على الارجح مما انتقل إلى متن الكتاب من هوامشه، إذ لا يخلو كتاب من كتب التراث من تعليقات للرواة والنساخ والمالكين له، ومن شروح يقصد بها الايضاح والتفسير والتعليق الضروري أو التنبيه على مسألة خلافية، أو نحو ذلك من التعليقات التي يراد بها خدمة القارىء وايضاح النص وتزيين الكتاب، فمن تلك الشروحات التي تخللت المتن قول قائل (وقطُ اذا أريد بها الكفاية كسرت، مثل قولك : كسبت درهماً فقط، وإذا أريد بها الدهر رُفعت كقولك : ما رأيت قطُ)[44] ومن ذلك قول قائل : (إذا نصب ربيع أراد الترخيم يا ربيعة فلما حذف الهاء للترخيم ترك العين مفتوحة، ومن رفع ذهب مذهب الاسم التام المفرد وإن كان موخماً »[45] ومما ورد من هذا القبيل ما يأتي (يروي غير ابن الأعرابي : تُعدي الصحاح مبارك الجَرْب، وأراد مباركاً، فترك الالف)[46]. ومثل هذه الشروح كثير الورود في متن الكتاب.. وقد انبهم امرها على احد الباحثين الفضلاء فظنها من الاصل، واتخذ منها ركيزة للحديث عن نشاط المفضل الضبي في اللغة [47]. وغاب عن ذهن هذا الباحث الفاضل أن كتاب الامثال كتاب امثال وقصص وان مصنفه كان معنياً بالجانب التاريخي لا اللغوي ولا النحوي للمثل.

واذا تمكنا من تاشير المواضع المقحمة في كتاب الامثال للمفضل الضبي، وأزلناها في هوامشه، وقابلنا النصوص الواردة فيه بالنصوص نفسها وهي في المصادر الأخرى تهيأ لنا كتاب محقق موثق، لا نبعد عن الصواب إن قلنا : إنه اقرب الى الهيأة التي تركه عليها مؤلفه من هيأته أو صورته الحاضرة. وعلى الرغم من ذلك كله تظل النسخة المطبوعة من الكتاب صحيحة وثمينة، يؤيد ذلك أن نصوصها نفسها ترد كثيراً في مصادر أخرى. وإذا وازنا بين صيغ الامثال الواردة في كتاب المفضل وصيغها أو صورها وهي في المصادر الاخرى وجدنا تبايناً واختلافاً بين الصيغتين، فالمثل « تسمع بالمُعيدي خير من أن تراه » رواه الأصمعي « تسمع بالمُعيدي لا أن تراه »[48]. وذكر أبو عبيد أن الكسائي كان يدخل فيه أن، فيقول « أن تسمع بالمُعيدي خيرٌ من أن تراه »[49] وروي ايضاً « لأن تسمع بالمُعيدي خيرٌ من ان تراه »[50]. والمثل: « إني ساكفيك ما كان قولاً » روي بحذف (إني)[51]. والمثل « لا ناقة لي في هذا ولا جمل » روي « لا ناقتي في هذا ولا جملي »[52]، وروي ايضاً « لا ناقتي فيها ولا جملي »[53]. والمثل « لافتى الا عمرو » روي « لافتى الا عمرو بن تقن »[54] والمثل : « شبَّ عمرو عن الطوق » روي : (كَبَرَ عمرو عن الطوق »[55]. والمثل : « لعلني مُضلَّلاً كعامر » روي (حسبتني مُضَلَّلاً كعامر »[56]. والمثل « على أهلها تجني براقش » روي « على أهلها دَلَّت براقش »[57]. والمثل « استنوق الجمل » روي « قد استنوق الجمل »[58]. والمثل أساء سمعاً فأساء جابة » روي « ساء سمعاً فأساء إجابة »[59]. والمثل « صُفراهُنَّ مُزاهن » ورد أيضاً : « صفراهن شراهُنَّ »[60]. والمثل « ويلٌ الشعر من رواية الشعر » ورد : « ويلٌ للشعر من روايةِ السوء »[61] والمثل « وفي النوى يكذبك الصادق »روي : « عند النوى يكذبك الصادق »[62] ومثل هذه الاختلافات كثير، يعود قسم منه إلى الرواة أنفسهم، ويعود قسم آخر إلى الناسخين. فاما الرواة فقد بَدَّلوا الفاظ طائفة من الامثال، وغيروا في صياغة طائفة أخرى لاسباب مختلفة، منها انهم هدفوا الى اقامة عبارة المثل على نحو يستحسنونه أو يستحسنه أبناء عصرهم، ومنها أن طائفة من الأمثال كانت شائعة في انحاء مختلفة من بلاد العرب. وكانت القبائل تنطق الامثال على لغاتها. فالمثل (إذا عزَّ أخوك فهُنْ) ورد (إذا عزَّ أخاك فهُنْ). والمثل (مكره أخوك لا بطل) روي : (مكره أخاك لا بطل)[63]. وأظن أن تجرؤ الرواة واللغويين على صيغ كثير من الامثال يشبه الى حد كبير تجرؤ رواة الشعر على الشعر الذي رووه، وإباحتهم لانفسهم تغيير ما يرون تغييره من ألفاظه وتراكيبه. وفي ظني أن تصرف الرواة والنحويين واللغويين بصيغ كثير من الأمثال أدى الى اختفاء ظواهر لغوية قديمة، واضمحلال سمات وخصائص لهجية كانت قديماً معروفة شائعة. ولا يعدم الباحث في كتب الامثال أن يجد أبنية قديمة تُشير إلى لغات غُلِّب عليها الزمن. ففي المثل (أجناؤها أبناؤها) مثلاً بناء قديم وصيغة مندرسة، إذ إن أجناء هنا جمع جانٍ وأبناء جمع بانٍ، وهذا الجمع كما يقول أبو عبيد عزيز في الكلام[64]، لان المتكلم جمع فاعل على أفعال. ومن الخصائص اللهجية في الامثال أن المثل : (ليت التِسيُّ كلها أرجلا) ورد بنصب (أرجلا) وهي لغة بني تميم، فهم يعملون (ليت) إعمال (ظن)، فيقولون : ليت زيداً شاخصاً كما يقولون : ظننت زيداً شاخصاً.[65] والمثل (لاضمنَكَ ضمَّ الشناتر)[66] ورد على لغة أهل اليمن. والشناتر في لغتهم هي الاصابع، وقد قال شاعر حميري يرثي عجوزاً أكلها الذئب :

فلم يُبقِ منها غير شطر عِجانها وشُنترة منها وإحدى الذوائب (67)

وقولهم (أتى عليه ذو أتى) من أمثال طيء لان (ذو) التي بمعنى (الذي) هي من لغتهم[68]. وفي وسع المرء ان يقف

على ظواهر لهجية كثيرة في الأمثال غير ما ذكرنا . وكما وجد الوضع في الشعر وجد في الأمثال أيضاً . فقد أقحم الرواة وصناع الكلام على الامثال الاصلية أمثالاً مستحدثة معظمها مما ورد على وزن أفعل . وقد احتوى كتاب المفضل الضبي على قدر قليل من هذا النمط ،ويظهر أن الرواة بعد عصر المفضل وجدوا في هذه الصيغة قالباً سهلاً يصبون فيه ما يبِنُّ لهم من حكم وأفكار ومعارف ، فاكثروا من هذه الصيغة وأسرفوا .[٦٩] .

منهج المفضل الضبي في كتاب الامثال

يمثل كتاب المفضل الضبي بداية التاليف الادبي في تراثنا . فهو مثل غيره من كتب القرن الثاني الهجري يخلو من المقدمة أو الخطبة على حد تعبير القدماء ، هذه الخطبة التي يتحدث فيها المصنف عن مصادره ومنهجه والغاية من تاليف كتابه . ويظهر ان المفضل أملى كتابه في الامثال في بغداد في زمن المهدي على تلاميذه بعد ان قدم نسخة منه الى المهدي الذي رغب اليه جمع الامثال التي سمعها المفضل من البدو فيما يذكر الطبري في تاريخه [٧٠] . ويظهر ان كتاب الامثال للمفضل الضبي حظي بشهرة واسعة في الاوساط العلمية تربو على شهرة غيره من كتب الامثال التي ألفت في الحقبة نفسها ، أي القرن الثاني الهجري .

لم يتبع المفضل الضبي منهجاً واضح المعالم ولا نظاماً ذا سمات وخصائص مميزة ، فهو لم يقيد نفسه بخطة محددة ، ولم يتحدد بشروط وحدود ، إذ ساق قصصاً مختلفة وروايات كثيرة تتعلق بايام العرب وعاداتهم ومناسباتهم ، وترتبط بسير ملوكهم وشيوخهم وفرسانهم وحكمائهم . وتكاد الرواية عن العصر الاسلامي تنعدم في الكتاب الذي بين ايدينا اليوم ، فلا يجد القارىء من أخبار الحكماء والشعراء والخطباء الذين عاشوا في الإسلام سوى قصة الحطيأة الشاعر حين حضرته الوفاة ، وما قال في هذه المناسبة من أمثال[٧١] . لقد احتوى كتاب المفضل الضبي على مئة وتسعة وخمسين مثلاً وردت كلها في اثناء قصص وحكايات وحوادث تتعلق بشتى القبائل العربية ، وترتبط ببيئات ومجتمعات مختلفة ، وقد استطاع المفضل الضبي أن يعزو جل تلك الامثال إلى قائليها ، ولكنه لم يتناولها بحسب مواطنها وبيئاتها وقبائلها ، لان هذا التنظيم والتنسيق لم يكن معهوداً عند المصنفين الذين عاشوا في القرن الثاني الهجري . وفي حدود علمي أن أول من تناول الامثال تناولاً منظماً أشار من خلاله الى شيوع بعضها في بيئة دون سواها ، وشيوع أخرى في بيئات معلومة هو حمزة بن الحسين الاصفهاني (ت ٣٥١ هـ) في كتابه : الدرة الفاخرة في الامثال السائرة . فقد ذكر أن المثل : آمن من غزلان مكة من أمثال المكيين ، وان لاهل المدينة أمثالاً لا يعرفها غيرهم كقولهم : أولم من الاشعث ، وأتجر من عقرب ، وذكر من أمثال اهل الكوفة : أهون من قُفيس على عمته . وأشار إلى أن المثل : أحلم من الاحنف من أمثال اهل البصرة .[٧٢] واذا كانت ثمة أمثال ترتبط بالبيئة التي نشأت فيها فثمة أمثال أخرى تُعين القبيلة التي وجدت فيها ، فالمثل : لا في العير ولا في النفير[٧٣] من أمثال قريش . والمثل : أتى عليه ذو أتى من أمثال طيِّىء .[٧٤] والمثل : لاضمنه ضم الشناتر من أمثال حِمير[٧٥] . ومثل هذا لا يصعب استقصاؤه وحصره في نظام . لقد كان المفضل الضبي أول من قدم لنا تفسيرات لامثال كثيرة لا تعرف دلالتها الا من خلال القصص التي وردت فيها تلك الأمثال ، فكشف لنا عن مغزى المثل والحادثة التي تمخض عنها والسياق الذي ورد فيه اسم قائله . فالمثل : أسعد أم سعيد لا يعرف مغزاه إلا من خلال القصة التي اكتنفته . وخلاصتها أنّ سعداً وسُعَيْداً هما ولدا ضبة إبن أد . وعندما نفرت إبل ضبة في الليل خرجا يطلبانها ، فتفرقا في طلبها ، فوجدها سعد وجاء بها . أما سعيد فقد خرج ولم يعد . فكان ضبة يقول إذا رأى تحت الليل سواداً مُقبلاً : أسعد أم سعيد ، وذهب قوله مثلاً . فالمثل إذن يضرب في العناية بذي الرحم وفي الاستخبار عن أمرين خير وشر أيهما وقع . وقد تمثل به الحجاج إبن يوسف الثقفي عند سماعه بزواج قتيبة بن مسلم ، فكتب اليه : أسعدُ أم سُعَيْد ؟ أي : أحسناء أم شوهاء ؟ فجعل التصغير مثلاً للقبح والتكبير مثلاً للحسن .[٧٦]

وينبغي للمرء أن يتوقف عند هذه القصص ، فينظر في أمر علاقتها بالمثل وارتباطها به . فهل حقاً أن تلك الامثال لم ترد الا في أثناء قصة ، وأن الناس لم يسمعوها الا وهي مقترنة بحكاية ، أم أن تلك القصص وضعت بعد أن بحث الرواة والعلماء في أصول الامثال وقائليها ؟ . أغلب الظن أن الامر الثاني هو الراجح ، وأن الصيغة النهائية لهذه القصص ليست بعيدة الغور في الماضي ، وربما كانت في القرن الاول الهجري أو بعده . وقد يكون مناسباً أن نشير الى ان الباحثين لا يعولون كثيراً على تلك القصص في بحوثهم ودراساتهم التاريخية ، ويعدونها مصنوعة وجدت من أجل تسلية الناس وامتاعهم وتزجية أوقات الفراغ .[٧٧] .

اشتمل كتاب الأمثال على مادة وفيرة تتعلق بأيام العرب . وقد شغلت أيام قبيلة تميم وأخبارها حيزاً واسعاً من الكتاب لوفرة أخبارها لدى المفضل الضبي وغيره من الرواة بسبب انتشار بطون تميم على رقعة واسعة من أرض العرب وظعنت بطون أخرى في نجد وسواها في البحرين[٧٨] . ولعل ابرز جانب من جهود المفضل الضبي في الاخبار روايته لايام العرب فقد روى المفضل أحداث حرب داحس والغبراء التي نشبت بين عبس وذبيان وذكر أنها دامت أربعين سنة وأن الذي اثارها رهان بين قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الذبياني على سباق لخيلهما ، فقد أجرى حذيفة فرسَيْه الخطّار والحذفاء وقيل قَرزلاً والحنفاء ، وأجرى قيس فرسيه داحس والغبراء . وذكر المفضل أن قوم حذيفة نصبوا

كمونا في ثنية فأعاقوا اندفاع داحس بعدما كان سابقاً ، فشبّت الحرب بين القبيلتين ، وسالت دماء إلى أن نَهَدَ لوقفها الحارث بن عوف وخارجة بن سنان ، فتحملا دِيَات القتلى من الطرفين وأصلحا بينهما [٧٩] .

وأورد المفضل في كتاب الامثال بعضاً من أيام داحس والغبراء مثل يوم الفروق [٨٠] . وهو يوم بين بني سعد بن مناة وبني عَبس وفيه أغارت بنو سعد على عبس لكنّ غارتهم خابت . ويذكر المفضل أن زهير بن قيس العبسي سُئل : كم كنتم يوم الفروق ؟ فقال : مئة فارس كالذهب ، لم نكثر فنفشل ، ولم نقلّ فنضعف [٨١] .

وأشار المفضل الضبي في كتابه إلى يوم آخر من أيام داحس هو يوم (ذي خَشَبَ) وذكر أن خشبَ وادٍ فيه ماء . وذكر أن قراوش ابن هانيء [٨٢] . قتل فيه حذيفة بن بدر ، وأنّ الحارث بن زهير قتل حمل بن بدر ، وأخذ منه سيف مالك بن زهير الذي قتله حمل [٨٣] . وذكر المفضل في كتابه من أيام داحس يوم (عراعر) وأشار إلى أنه موضع لكلب حلّ به بنو عبس فقاتلت فيه كلباً وذبيان ، وقتلوا منهم مسعود بن مصاد الكلبي [٨٤] . وروى المفضل في كتاب الامثال وقائع حرب البسوس التي استعرت بين بكر وتغلب ابني وائل ، وذكر أنّ الذي أثار الحرب هو كليب التغلبي إذ أصاب بسهم ضرع البسوس ناقة الغدوية خالة جساس ، وكانت رعت في مرعاه ، فقتل جساس كُليباً ، فشبت الحرب بين القبيلتين ، وفيها أسرف مُهلهل أخو كليب في قتل بكر . وذكر المفضل أن الحارث بن عباد وهو من بكر لما رأى تفاقم الشر انسحب من صفوف قبيلته ، واعتزل الحرب ، ولكن كُليباً قتل بجير بن الحارث ، فلما بلغ الخبر الحارث قال : نِعم القتيلُ قتيلَ أصلح بين أبني وائل ، فجعل ابنه هو الفداء ، فهدأت الحرب ، وعمّ السلام [٨٥] .

وذكر المفضل يوم (ذي نَجَب) [٨٦] وهو يوم لبني يربوع على بني عامر ، وقال : إنّ خالد بن مالك . قتل فيه عمرو بن الاحوص وكان ابو القتيل سيد بني عامر وأشار المفضل الى يوم مسلوق وذكر أن جبيلة بن عبد الله أخي بني قريع بن عوف بن كعب ابن سعد بن تميم أغار فيه على ابل جَرّية بن أوس بن عامر [٨٧] وتحدث المفضل عن يوم (بارق) ، فذكر أن بني شيبان والنمر بن قاسط اجتمعوا على تغلب وتميم وأوقعوا فيهم ، وقتلوا منهم رجالاً كثيرين ، وأخذوا أموالاً وأسرى . وأشار إلى أن هذا اليوم كان من أعظم الايام على تغلب [٨٨] . وأشار المفضل إلى يوم (القسطل) وذكر أنه موضع دارت فيه معركة بين قضاعة وغسان [٨٩] .

وروى المفضل وقائع الحرب التي دارت بين المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة والحارث بن جبلة ملك الغساسنة في موضعين من كتاب الامثال ، وذكر أن هذه الحرب قد أسفرت عن مصرع المنذر بن ماء السماء عندما التقى الطرفان في (عين أباغ) ، وكان مع الحارث في هذا اليوم مئة محارب [٩٠] . ويروي المفضل في موضع آخر أن اليوم الذي انتصر فيه الحارث بن جبلة على المنذر بن ماء السماء سُمّيَ بيوم (حليمة) [٩١] وحليمة هذه فيما يذكر المفضل هي ابنة الحارث بن جبلة الغساني ، وكان أبوها قد أمرها أن تُطيّب المقاتلين قبل ذهابهم إلى الحرب . . .

هذا شيء من اسهام المفضل الضبي في رواية أيام العرب يجده القارىء في كتابه أمثال العرب وهو بلا شك ليس كل ما أثر عنه فللمفضل روايات أخرى في مصادر أخر . وفي الحق أن مشاركة المفضل هذه ليست هينة أو يسيرة بل هي مشاركة كبيرة من شأنها أن تضع المفضل في مقدمة رواة الاخبار [٩٢] .

أما قيمة الايام التاريخية وأهميتها في البحث العلمي فليست كبيرة . فقد وقف الباحثون منها موقفاً حذراً سواء أكان ذلك فيما يتعلق بمسير وقائعها أو كان ذلك فيما يتعلق بزمنها ، لان الرواية الشفهية للايام عرّضتها للتحريف والتغيير وأبعدتها عن أصلها كثيراً . ويلاحظ بعض الباحثين أن رواة الايام لابد أن يكونوا من هذه القبيلة أو تلك ، فعندئذ لا مناص من أن يبتعدوا بالرواية وينحرفوا بها إلى ناحيتهم ، وإلى ما يناسب هواهم وميلهم القبلي ، فالراوي من شأنه أن يُعظّم انتصار قبيلته ، ويهوّن من شان القبيلة المناوئة ، يُزاد على ذلك أن الرواة يغلبون الجانب القصصي عند سردهم للحوادث على النَسق التاريخي [٩٣] .

وعلى الرغم من تلك المآخذ التي يراها الباحثون في روايات الايام يستطيع الدارس والباحث في الحياة العربية قبل الإسلام أن يقف من خلال روايات الايام على ما كان للعرب من عادات وتقاليد ومثل وأعراف . وأظن أن مؤرخ الادب لا يستطيع أن يتخطى الايام في بحثه ، ففي الايام مادة أدبية صالحة وقيّمة ، فثمة أشعار وأمثال وخطب ووصايا ورسائل قد لا يعثر عليها المرء في مصادر أخرى غير مصادر الايام ، وثمة شعراء برزوا في معارك قبائلهم وانتجوا أدباً حيّاً وجميلاً في هذا المضمار . . .

تحدث المفضل الضبي في كتابه عن ملوك العرب القدماء وقبائلهم البائدة ، وروى أخبار تلك الاقوام وسير ملوكها بأسلوب قصصي . ويمكن تسمية هذه القصص بالقصص التاريخية ، لكنّ المستشرق بلاشير يسمي هذه الحكايات أو القصص بالقصص شبه التاريخية . [٩٤] ويبدو أن التسمية الاخيرة اكثر دقة من سواها ، لإن تلك القصص أو الروايات التاريخية التي رواها القصاصون والاخباريون ليست تاريخية صرفة ، وإنما هي خليط من حوادث التاريخ والخيال ، أي إن الواقع والخرافة يمتزجان بصورة يصعب على الباحث فيها معرفة الاصل وتمييزه مما أضافه الخيال وما طرأ عليه من عناصر دخيلة عليه غريبة عنه . وقد شارك المفضل الضبي الرواة والاخباريين الذين عاصروه في روايتهم لتلك القصص وكان نصيبه منها كبيراً ، فقد تحدث عن أخبار طسم وجديس فذكر أنّ عمليقاً مَلَكَ طسماً وجديساً وكانت منازلهم باليمامة وقد تمادى ذلك الملك في الظلم والغشم والسيرة بغير الحق وأن امرأة من جديس تدعى عفيرة بنت عباد أخت

الاسود بن عباد سيد قومه استنجدت باخيها مماحل بها من بلاء على يد الملك الغاشم ، فاستطاع الاسود ان يؤلب قومه على عمليق وأن يخلص ما بقي من طسم من ظلمه وتتابع الاحداث في نسق قصصي غريب[٩٥] . . . وقد أشار المفضل في تفسيره لاصل المثل (سمن كلبك ياكلك) إلى قصة رجل من قبيلة طسم[٩٦] . وليس في وسعنا هنا أن نورد رواية المفضل لاخبار طسم وجديس بل يمكن الرجوع اليها في المصادر ، بيد أننا نتساءل هنا عن موقف الباحثين والدارسين من مثل هذه الحكايات عن الاقوام البائدة .

لقد توقف الباحثون عند أخبار طسم وجديس ، وشكوا في الروايات التي وردت بشأنهما . فهم لا يطمئنون الى هذه القصص الخرافية ، ولا يثقون بها ، بل إن اكثرهم لم يؤيد وجود طسم وجديس على الحقيقة[٩٧] . فالقرآن الكريم حين عرض لذكر الاقوام التي عاشت قبل الاسلام والحوادث التي وقعت لم يشر إلى طسم وجديس ، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى (وعاداً وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين)[٩٨] وقال تعالى (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوةً وأثاروا الارض وعمّروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون)[٩٩] وقال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وأخوان لوط وأصحاب الايكة وقومُ تبّع كل كذب الرسل فحق وعيد)[١٠٠] وقال تعالى (أهم خيرٌ أم قوم تُبّع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين)[١٠١]

ويذهب الباحثون إلى أن هؤلاء الاقوام الذين ذكرهم القرآن الكريم عاشوا قبل الاسلام في زمن غير بعيد عن ظهور الرسالة المحمدية السمحاء ولكن القوم قد نسوهم ونسوا الحوادث التي وقعت لهم كما يتضح من الآيات الكريمة المذكورة ، ولم يتذكر اخبارهم الا نفر قليل من العرب ، فكان لا بد من تذكيرهم ليتعظوا . ويذهب بعض الباحثين إلى أن اخبار الجاهلية طمست في أيام الجاهلية نفسها فلم يكن للناس عند ظهور الاسلام علم بما يزيد على قرن أو قرن ونصف على أبعد تقدير .[١٠٢]

إن قصص طسم وجديس من القصص الخرافية إذ أن معظم الباحثين لا يعتقدون بوجود هاتين القبيلتين على الحقيقة وبعضهم لا يجزم ولا يتشدد في هذا الشأن ، بل يحتاط فيذهب إلى أنه لا يُستبعد أن يأتي يوم قد يُعثر فيه على اسمي طسم وجديس وسواهما من الاقوام البائدة في الكتابات القديمة ، وبعضهم يميل إلى الاعتقاد أن الاسمين ربما يكونان من الأسماء الواردة في التوراة وقد تعرضا للتحريف والتغيير حتى استقرا على لفظهما الحالي (طسم وجديس) .[١٠٣]

ومهما يكن من أمر فإن انفراد القصص شبه التاريخية بذكر طسم وجديس وعدم اشارة المصادر التاريخية القديمة والنقوش المكتشفة إلى تينك القبيلتين يجعل اعتقاد وجودهما وتصديق أخبارهما أمراً بعيداً ومتعذراً .[١٠٤]

وروى المفضل في كتاب الامثال أخبار جذيمة الابرش ، وذكر أنه كان ملكاً على الحيرة وأنه صَفَا أمر كاسه والقيام على ندمائه إلى طريف عاقل يقال له عَدِيّ بن نصر ، فابصرته رقاش أخت جذيمة فاعجبت به ، وأشارت اليه أنك اذا سقيت القوم فامزج للملك وأسقه صِرفاً ، فاذا أخذت الخمر منه فاخطبني اليه ففعل ما قالت له فاجابه الملك وأشهد عليه عَدِيّ القوم ، وذكر المفضل أن رقاش ولدت ابناً سمته عمراً ، وأن الجن استطارته وبعد أن كبر القته على الطريق وكان طويل الشعر والاظافر ، فاقبل رجلان يقال لهما مالكاً وعقيلاً يريدان جذيمة ، فنزلا في بعض الطريق ، وهيات لها قينة طعاماً فاقترب منهما ذلك الصبي الغريب ، وجلس منهما مزجر الكلب ، فناولاه الطعام وسالاه عن نسبه فانتسب لهما ، فنهضا اليه وقرباه وغسّلاه وألبساه طرائف الثياب وقدما به على جذيمة ، فجعل لهما حكمهما ، فقالا : مدامتك ما بقيت وبقينا ، وأمر جذيمة بصرف عمرو إلى أمه ، فتمهدته أياماً حتى ذهب شحوبه ثم أمرته بزيارة خاله جذيمة ، فاقام معه إلى أن وَلِيَ الحكم[١٠٥] وقد وردت هذه القصة في مصادر أخرى ، ويبدو أن الاختلاف بين رواية المفضل ورواية سواه من الرواة لم يكن كبيراً ، وأن الذي يجمع الروايات كلها هو الخيال ودور الجن فيها وظهور عمرو بعد ذلك وصيرورته ملكاً .[١٠٦]

لقد كان المفضل الضبي في هذه القصة وكل القصص شبه التاريخية ناقلاً للاخبار راوياً للاحداث لا يُشكك فيما يروي ولايحتاط شأنه في هذا شأن جميع الرواة والاخباريين الذين تلقفوا هذه الاساطير والقصص الغريبة من أفواه أهل البادية ولم ياخذوها من مدونات تاريخية أو وثائق أو كتابات معتمدة . وكل هذا يجعل الاعتماد على رواياتهم أمراً فيه ما فيه من الشطط والابتعاد عن الحقائق والاحداث كما وقعت . فرواية المفضل الضبي بسبب من هذا لا يركن اليها الدارسون ولا يعولون عليها ، لانها كما اسلفت لم تعتمد إلا على الرواية الشفوية التي دخلها الخيال والتزيد والتغيير والتحريف والتضخيم وما شاكل ذلك بتقادم الزمن . . .

وروى المفضل في كتابه قصة جذيمة والزبّاء وذكر أن الزبّاء كانت امرأة من الروم مَلَكت على الجزيرة وقنسرين وكانت مدائنها على شط الفرات من الجانب الشرقي والغربي ، وأنها قد شقّت الفرات وجعلت فيه أنفاقاً . . . وكان جذيمة الابرش ملك الحيرة قد رَغِب في زواجها ، وكتب اليها يخطبها ، وبارك له أصحابه هذا الزواج وزيّنوها له الا قصير فقد حذّره منها ونهاه عنها ، فعصى جذيمة رأي قصير ، وسار اليها بعد أن استخلف على مُلكه ابن اخته عمرو بن عدي ، ومضى اليها في جماعة من أصحابه ، وسار

حتى دخل عليها وهي على سريرها فقالت لجواريها : خذن بعضدي سيدكن فقعدنَ ، فعرف جذيمة الشرّ ، ولم يستطع دفعه في حين أدرك قصير المكيدة ونجا على العصا فرس جذيمة ، فلما عاد الى عمرو بن عدي قصّ عليه الخبر وحثه على الثار من ابنة الزباء فاتفق قصير وعمرو على تدبير حيلة اقترحها قصير إذ جدع أنفه وخرج الى ابنة الزباء فلما وصل اليها أخبرها أن عمراً قد اتهمه في مشورته على خاله بإتيانها فجدعه ، ثم نزل منها منزلًا كريماً ووثقت به ، فاشار اليها أن ترسله إلى العراق ليجلب ما عنده من طرائف وأموال ، وبعد زمن أتى عمراً فاتفقا على أن يحمل قصير الجنود في توابيت يضعونها على الجمال حتى يُخيل للزبّاء أن المحمول أموال وطرائف ، فلما تم لهم ذلك خرجت القافلة من الحيرة الى الشام فلما وصلت إلى اتفاق ابنة الزباء خرج من كل تابوت رجلان دارعان ، فادركت ابنة الزباء الحيلة ، فارادت الانتحار بسمّ خاتم فيه سُم لكنّ عمراً وقصيراً بادراها فقتلاها .[١٠٧]

تلك رواية المفضل الضبي لقصة جذيمة والزبّاء كما وردت في كتابه أمثال العرب وهي تختلف بعض الاختلاف عن روايات الرواة الآخرين ، فالزبّاء في رواية المفضل امرأة من الروم بينما هي في سائر الروايات امرأة عربية . وفي رواية المفضل أن جذيمة كتب اليها يسألها الزواج منها ، في حين تذكر الرواية الاخرى أنها هي التي كتبت اليه تعرض عليه الزواج ، ولم تشر رواية المفضل إلى ان جذيمة كان قد قتل أباها عمرو بن الضرب ، فصممت على الانتقام من قاتله وهو جذيمة نفسه . ويشير أبو الفرج الاصفهاني إلى روايتي أبي عبيدة والاصمعي لهذه القصة التي يبدو أنها كانت شائعة ومشهورة بين الرواة .[١٠٨]

أما الباحثون والدارسون المعاصرون فيذهبون إلى أن الزبّاء لم تكن سوى زنوبيا ملكة تدمر التي حكمت بعد زوجها أذينة حيث أقام العرب الشماليون في القرنين الثاني والثالث الميلاديين دولة مستقلة في بادية الشام انتهجت سياسة حياد بين الروم والفرس ، وقد بلغت عزّها أيام ملكها أذينة الذي اعترف الروم به وبدولته لكنهم نقضوا عهودهم بعد وفاته وسجيء زوجته زنوبيا إلى الحكم ، فغزوها في زمن ملكهم (أورليان) ودمروا تدمر بعد أن اقتحموا على زنوبيا قلاعها وحصونها . ويذكر المؤرخون أن زنوبيا قاومت الغزاة بشجاعة . ويبدو أن ذكرى هذه الملكة ظلت عالقة في أذهان عرب ما قبل الاسلام زمناً ، ثم تغيرت الصورة بتوالي الايام ، وبدلت الرواية الشفوية معالم أحداث تاريخية عظيمة ، وعمل خيال القصاصين على مسخ أصل وقائع كبيرة ، فاخرجها في هيأة تكاد تكون غريبة عن الأصل ومغايرة له كثيراً .[١٠٩]

ومن المفيد أن أورد نص كلام العلامة المرحوم الدكتور جواد علي في شأن هذه القصة شبه التاريخية ، يقول الدكتور جواد علي (واذا تعمقنا في دراسة القصص والسمر والأيام وقارنا تلك بالنتائج التي حصل عليها المستشرقون من دراسة الاصول اليونانية والرومانية والسريانية والكتابات فقد نتوصل إلى نتائج طريفة تريانا كيف تحولت الحقائق التاريخية إلى شيء من الاساطير ، فقد وضعت الروايات العربية مثلًا زنوبيا أو زينب في المرتبة الثانية ، وأعطت الدور الاول لشخصية أخرى دعتها الزبّاء ، قالت : إنها أخت زنوبيا ، وقد أخذ الاخباريون اسم الزباء من اسم قائد زنوبيا الشهير الذي القى الرعب في نفوس القبائل والحدود السورية وهو القائد (زبداي) الذي ترك أثراً عميقاً في نفوس رجال البادية وقبائل الحدود رفعه الى الدرجة الاولى في الرواية ، فارتفع بذلك اسم الزبّاء وتقدم على زنوبيا ، وجعلت الروايات من الثغرة التي عملتها زنوبيا في سور تدمر حينما أطبقت على المدينة جيوش أورليان للهرب منها نفقاً يصل قصر الزبّاء بقصر اختها على ضفتي نهر الفرات . . .)[١١٠]

ولكن الدكتور عبد المجيد عابدين يرى أن اسم ملكة تدمر هو (بت زباي) أي بنت زباي ، وأن هذا اللفظ من الاسماء الشائعة لدى أهل تدمر ، فقائد خيالة تدمر اسمه (زباي) أيضاً ، ويقول : إن زباي هذا هو اسم والد الملكة وهو شخص آخر غير زباي القائد . وبنت زباي هذه هي زنوبيا الملكة أو الوصية على تدمر .

يذهب الباحث الفاضل إلى أن رواية المفضل مطابقة للاسم الذي ورد في النقوش التدمرية ، وهي أقل تعرضاً للعبث والتغيير من سواها ، لانها تُسمي الملكة بنت الزباء أو ابنة الزباء في حين تحذف روايات الرواة الآخرين لفظ بنت أو ابنة وتسمي الملكة الزبّاء .[١١١]

وهكذا يتضح لنا أن لهذه القصة أصلًا . وفي وسع الباحث إذا ما قام بدراستها ودراسة سواها من القصص شبه التاريخية وحللها أن يصل إلى نتائج جيدة . ومن قصص الحيوان أورد المفضل الضبي في كتابه قصة الحية والفاس فقال : (إن اخوين كانا فيما مضى يرعيان ابلًا لهما في وادٍ فيه حية قد حمته من كل أحد ، فقال أحدهما للآخر : لو أني اتيت هذا الوادي فرعيت فيه ابلي ، فقال له : اني اخاف عليك الحية ، فهبط ذلك الوادي ، فرعى إبله فيه زماناً ، فلدغته الحية فقتلته ، فقال أخوه : ما في الحياة بعد أخي خير ، ولاطلبنّ الحية فاقتلها أو لاتبعنّ أخي ، فهبط ذلك الوادي ، فطلب الحية ليقتلها فقالت : ألست ترى اني قتلتُ أخاك فهل لك في الصلح ، فادعك بهذا الوادي فتكون به وأعطيتك ما بقيت ديناراً في كل يوم ؟ فحلف لها المواثيق لا يضرها ، وجعلت تعطيه كل يوم ديناراً فكثر ماله ، واصبح من احسن الناس حالًا ، ثم ذكر اخاه فقال : كيف يلتذ العيش وأنا انظر إلى قاتل اخي ، فعمد إلى فاس ، فمرت به فضربها فاخطأها ، ودخلت في الجُحر فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذي كانت تعطيه ، فلما رأى ذلك تخوف شرها وندم فقال لها : هل لك في أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه ؟ فقالت : كيف أعاودك

وهذا أثر فاسك)[١١٢]

ونحن لا نعرف شيئاً عن أصل مثل هذه القصص . فالقصة بهذا الشكل عباسية لا جاهلية ، فقد عرفت هذه الاقاصيص في القرنين الثاني والثالث الهجريين . وجليٌ أنها بهذا الشكل المحبوك تمثل النثر العباسي ، ونمط قصص أدبائه أو قصاصيه ، وليس فيها مما ينسب إلى عرب ما قبل الاسلام الا أصل لا يستطيع الباحث أن يتبينه لما عرض له من طمس وتشويش . ولا يبعد أن تكون قصص الحيوان عند عربَ ما قبل الاسلام عبارة عن حكايات قصيرة يقصد بها هدف وعظي أو تربوي . ويذهب بعض الباحثين الى أن قصص الحيوان تمثل مرحلة متقدمة في حياة العرب ، لانهم كانوا في قديم زمانهم مثل سواهم من الاقوام البدائية يعتقدون أن الحيوان كان في الزمان القديم ناطقاً .[١١٣]

ومهما يكن من أمر فإن قصص الحيوان هذه وضعت كما أشرت في العصر العباسي وتاثرت بعناصر أجنبية دخيلة ، فقد كان الهنود أسبق من العرب وغيرهم من الاقوام إلى قصص الحيوان . ويبدو أن الدافع لوضع هذه القصص كان تفسير مثل أو قول ماثور أو ظاهرة أو حادثة أو ما شاكل ذلك . وليس ببعيد أن تكون النساء والعجائز والمرضعات في عصر ما قبل الاسلام قد لجأن الى سرد هذه الحكايات على أسماع أطفالهن الصغار لإخافتهم او تنويمهم أو لامتاعهم وتسليتهم ، واكبر الظن أنهن لم يجدن وسيلة تقويمية تهذيبية أو ارهابية أحياناً أفضل من الحديث عن الافاعي والذئاب والضباع والغيلان والسعالي . وقد لا ينصاع الصغار إلى ما تريده منهم امهاتهم بغير تلك الوسائل .

يظهر من قراءة متانية لكتاب المفضل الضبي أن المفضل كان مطلعاً على أخبار ملوك الحيرة والقصص المتعلقة بملكهم وسيرهم بصورة واسعة . ويرد الدكتور عبد المجيد عابدين وفرة قصص ملوك الحيرة لدى المفضل إلى أن تلك القصص كانت مدونة ، أي إن ملوك الحيرة كانوا قد حرصوا على جمعها وتسجيلها[١١٤] . وأظن أن هذا الامر مستبعد وأن قصص ملوك الحيرة في كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي لم تكن مما وجده المفضل مدوناً أو مكتوباً ، فقد كانت القصص تروى رواية ، ويتناقلها الناس في المجالس والمساجد والطرقات وهي بسبب عدم تدوينها تعرضت للتحريف والتغيير الكبيرين وابتعدت عن الاصل كثيراً ، ولم يبق من صورتها القديمة سوى ظلال باهتة لا يكاد الباحث يستبينها .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن جيل المفضل الضبي من الرواة والاخباريين من أمثال ابن الكلبي والشرقي بن القطامي وابن دأب وسواهم قد سبقتهم طبقة من الاخباريين أصطنعهم بنو أمية . وقد كان هؤلاء الاخباريون يقصون على الخلفاء والولاة قصص الماضين وأخبارهم . يعظونهم حيناً ويضحكونهم حيناً ثانياً . أما قبل الاسلام فقد شهدت المراكز الثقافية في اليمن والشام والعراق قصاصين يروون الاخبار والاشعار والاسمار في بلاط كندة والغساسنة والمناذرة ، يمتعون الحكام ويُسلّونهم بتلك القصص والفكاهات والنوادر . وقد انتقلت هذه الحكايات إلى رواة القرن الاول الهجري ، ثم إلى رواة القرن الثاني من جيل المفضل بطريق الرواية الشفوية .

واذا تركنا قصص أيام العرب وأخبار ملوكها ، وانتقلنا إلى القصص الاجتماعية أو العاطفية إن صحّت التسمية في كتاب أمثال العرب وجدنا قدراً كبيراً منها يصور الغريزة الجنسية لدى المرأة بالفاظ صريحة . ومن الممكن من خلال هذه القصص معرفة مواقف الذكور إزاء الاناث ومشاعرهم تجاههن . فالذي يتحدث عن المرأة هو الرجل القاص ، وهو لا محالة يسقط من نفسه شيئاً على قصصه . وقد لا يكون حديثه موضوعياً قائماً على الملاحظة والتجربة والفهم الدقيق مستنداً إلى حقائق علمية . إذ إنّ العزلة التي يعيش فيها هؤلاء القصاصون الرجال عن مجتمع النساء في زمن الصياغة النهائية لقصصهم لابد أن تكون قد ولدت لديهم انحرافاً في فهم مجتمع الاناث وشططاً في تصوير العلاقة بين الجنسين لان هؤلاء نظروا إلى عالم المرأة من بعيد .

وقد لاحظ الدكتور احسان عباس بحق أن الرواة في العصر الاسلامي كانوا يطلقون العنان لاخيلتهم حول ما يمكن أن يُسمى تحللاً في العلاقات التي تربط الرجل بالمرأة قبل الاسلام دون أن يشعروا بحرج في ذلك ودون ان يحسوا إزاء ذلك الماضي بالغيرة القومية مشيراً إلى أن هذه القصص ربما لا تصلح لدراسة المجتمع الذي نسبت اليه ويشير الباحث الفاضل إلى أن الاقدمين لاحظوا عدم صلاحيتها في تصوير شخص ما تصويراً منسجماً ، لانها انطلقت من جهات متعددة وفي أزمان متباعدة ، ثم جمعت معاً فدُغة التي يضرب بها المثل في الحمق والتي لا يرجى لحمقها بُرْو تُعزى اليها أمثال تدل على أنها كانت ذات حظ موفور من الذكاء والكياسة . ومن أجل هذا يضطر الراوي إلى أن يقول : إن هذا الضرب الثاني من الامثال ، كل منها ينسب إلى دُغة .[١١٥] ويلاحظ الدكتور احسان أن ثمة تفاوتاً وتبياناً بين الروايات التي تتحدث عن الحارث بن ظالم ، فهو في مواضع مضرب المثل في الغدر[١١٦] . وهو في مواضع اخرى مضرب المثل في الوفاء[١١٧] . ويلاحظ القارىء اضطراب الروايات التي تتحدث عن لقمان بن عاد فتظهره رواية رجلاً جباراً حاد البصر ذا قدرة هائلة على الاكل[١١٨] . وتظهره رواية اخرى وهو ضعيف إزاء أبنه لقيم .[١١٩] ويبدو ان الاخباريين والقصاصين كلهم اضطربوا في تصوير لقمان حتى غدا القارىء يشعر أنه إزاء أكثر من شخص كل واحد يدعى لقمان . فالجاحظ يقول في وصف لقمان (ومن القدماء ممن كان يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراء لقمان بن عاد ولقيم بن لقمان ...)[١٢٠] ويحاول أن يوضح شخصية لقمان فيقول : (وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد

الاكبر والاصغر ولقيم بن لقمان في النباهة والقدر وفي العلم والحكم وفي اللسان والحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقوله المفسرون)[١٢١] ويقول الثعالبي : (إن العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل)[١٢٢] . وقد وصف الشعراء لقمان ، فمن ذلك قول أحدهم :

تراه يُطوِّف الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عاد[١٢٣]

ولقد نسجت حول شخصية لقمان الاساطير والخرافات ، ووسمت أخيلة القصاصين من تلميحات واشارات قصيرة في الاشعار والأمثال القديمة معالم شخصية فيها ما فيها من غرابة وتناقض ، وكان المفضل الضبي متأثراً بما وجده من قصص أسلافه بشأن لقمان ولقيم ، ولم يخرج عن دائرتهم ، فروى ما كان متداولاً من الحكم والامثال المعزوة إلى لقمان ، وما كان شائعاً من القصص التي تفسر تلك الامثال . ولم ينهض بعملية النقد والتمحيص ، لانه مثل سواه من الاخباريين كان يروي الاخبار والقصص كما سمعها ، فلقد روى كما مر بنا أخبار جذيمة والزباء دون أن يشكك فيما نقل وروى . وهو فيما أظن معذور في ذلك اذ لم تتهيأ له وسائل تُعينه على معرفة حقائق تلك الروايات وتتيح له دراسة تلك الاخبار ومعرفة أصلها . ويبدو أن الذنب هو ذنب المصادر التي استمد منها روايته . . .

الهوامش والمصادر

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ١٨ القاهرة ١٩٨٥ تحقيق عبد السلام هارون .
(٢) البيان والتبيين ٢ / ١٩ .
(٣) الامثال في النثر العربي القديم للدكتور عبد المجيد زين العابدين ص ٨٥ . القاهرة ١٩٥٦ .
(٤) الفهرست لابن النديم ١٠٢ . نشرة رضا تجدد سنة ١٩٧١ .
(٥) مجمع الامثال للميداني ١ / ٤ . القاهرة ١٩٥٥ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
(٦) الفهرست لابن النديم ٤٨ ، ٦٠ ، ٦١ . فهرسة ابن خير الاشبيلي ٣٤٠ (بغداد ١٩٦٣)
(٧) الامثال لابي عبيد ١٨٢ ، ٢٥٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ، ٣٦٩ ، ٣٨٣ . بيروت ١٩٨٠ تحقيق عبد المجيد قطامش .
(٨) طبع كتاب الفاخر طبعة محققة تحقيقاً علمياً في القاهرة ١٩٦٠ بقلم عبد العليم الطحاوي وهي التي اعتمدناها .
(٩) تاريخ الرسل والملوك ٨ / ١٧٩ حوادث سنة ١٦٩ . القاهرة ١٩٦٥ .
(١٠) إنباه الرواة للقفطي ٣ / ٣٠٢ . القاهرة ١٩٥٥ . نزهة الالباء للانباري ٦٥ القاهرة ١٩٦٧ بتحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم .
(١١) مجمع الامثال ١ / ١ .
(١٢) فهرسة ابن خير ٣٨٤ .
(١٣) الزاهر لابي بكر الانباري ٢ / ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ . بغداد ١٩٧٩ تحقيق الدكتور حاتم الضامن .
(١٤) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ٢٩٤ .
(١٥) الامثال لابي عبيد ٢١٧ ، ٢٨١ ، ٨٤أمثال العرب ، ٢٨٩ .
(١٦) الزاهر ٢ / ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ .
(١٧) الفاخر ص ١
(١٨) مجمع الامثال ١ / ٤
(١٩) أمثال العرب للضبي ٧٣ ، ٦٠ ، ١٢٨ ، ١١٧ ، ١٥٦ ، ١١٨ . بيروت ١٩٨١ تحقيق احسان عباس . مجمع الامثال للميداني ٢ / ٢٧٧ ، ١٥٠ ، ١ / ٢٤ ، ٢ / ٤١٤ ، ١/ ٣٢٨ ، ٢٨٠ .
(٢٠) مجمع الامثال ١ / ٣٠ ، ٢ / ٣١٤
(٢١) الامثال لابي عبيد ٢٩٥
(٢٢) الامثال لابي عبيد ١٨٢ ، ٢٥٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ، ٣٦٩ ، ٣٨٣ ، ١٤٨ ، ٣١١
(٢٣) ابن سلعامة هو الذئب وكذلك أبو رِعْلة .
(٢٤) الدرة الفاخرة في الامثال السائرة لحمزة الاصفهاني ١ / ٣٣٢ . القاهرة ١٩٧١ تحقيق عبد المجيد قطامش . لسان العرب ٢ / ٦٣١ مادة (ودخ) تهذيب اللغة ٢ / ٣٢٨ مادة (رعل) .
(٢٥) مجمع الامثال ٢ / ٢٧٦ وانظر فيه ٢ / ٢٧٧ المثل (ماء ولا كصداء) حيث حذف الميداني من العبارة (قال أبو عبيد : قال المفضل . . .) جملة (قال ابو عبيد) على سبيل الاختصار فيما أظن . والمثل المذكور لا يوجد في كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة .
(٢٦) هكذا في الاصل . والصواب (فتزوج)
(٢٧) أمثال العرب ١٢٧
(٢٨) الفاخر للمفضل بن سلمة ٦٤ القاهرة ١٩٦٠ تحقيق عبد العليم الطحاوي .
(٢٩) الاختلاف هنا سببه خطأ نسخي .
(٣٠) أمثال العرب ١٢٧ . والبز : بالفتح نوع من الثياب .
(٣١) أمثال العرب ١٧٠ ، الفاخر١٧٢ .
(٣٢) أمثال العرب ٥٥ . الفاخر ٦٥ . الزاهر ٢ / ٢٤٧ .
(٣٣) أمثال العرب ١١٠ ـ ١١٢ ، ٧٦ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٢٤ ، ١٤٠ . الفاخر ٦٢ ، ٦٣ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٠ ـ ٧١ .
(٣٤) أمثال العرب ٦٥ ، ١٧٠ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ١٢٧ . الفاخر ٦٨ ـ ٦٩ ، ٧٢ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١٤٠ .
(٣٥) المعمرون لابي حاتم السجستاني ٩ ـ ١٠ القاهرة ١٩٦١ تحقيق عبد المنعم عامر .
(٣٦) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ / ١٧٥ القاهرة ١٩٢٥ . الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٩٦ . (بيروت ١٩٦٤)
(٣٧) أمثال العرب ١٦٩ . تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي ٢٩٤ القاهرة ١٩٦٩ تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم .
(٣٨) أمثال العرب ٦٣ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٦٠ ، ٤٨ ، الزاهر ٢ / ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٨٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢ / ٢٨١ ، ١٩٨ .
(٣٩) أمثال العرب ٧٤ ، ٧٥ ، ١١١ ، ١٤٨ . وانظر مقدمة محقق الكتاب ص ٣٩ .
(٤٠) الأمثال العربية القديمة للمستشرق ولهايم ص ٧٣ . القاهرة ١٩٧١ ترجمة رمضان عبد التواب وانظر أمثال العرب ص ٣٩ مقدمة المحقق الدكتور احسان عباس .

(٤١) أمثال العرب ١١٢ .
(٤٢) أمثال العرب ١٣٠ .
(٤٣) أمثال العرب ٥٥ ، ٨١ .
(٤٤) أمثال العرب ٧٣ .
(٤٥) أمثال العرب ٩٢ .
(٤٦) أمثال العرب ٨١ .
(٤٧) مصادر اللغة للدكتور عبد الحميد الشلقاني ١٩٥ . الرياض ١٩٨٠ .
(٤٨) جمهرة الامثال لابي هلال العسكري ١ / ٢٦٦ . القاهرة ١٩٦٤ .
(٤٩) الامثال لابي عبيد ٩٧ .
(٥٠) مجمع الأمثال ٢ / ٢٢٠ .
(٥١) أمثال العرب ٦٥ .
(٥٢) مجمع الأمثال ١ / ١٢١ ، مجمع الامثال ٢ / ٢٢٠ .
(٥٣) جمهرة الامثال ٢ / ٣٩١
(٥٤) أمثال العرب ١٥٩ .
(٥٥) أمثال العرب ١٥٠ . الفاخر ٧٣ ، ٢٤٨ .
(٥٦) أمثال العرب ٤٩ . المعمرون ٩ .
(٥٧) أمثال العرب ١٥١ . جمهرة الامثال ١ /٣٩٨ .
(٥٨) أمثال العرب ١٧٤ . مجمع الامثال ٢ / ٩٣ .
(٥٩) أمثال العرب ١٧٠ . مجمع الامثال ١ / ٣٣٠
(٦٠) أمثال العرب ١٦٨ . مجمع الامثال ١ / ٣٩٨ .
(٦١) أمثال العرب ١٤١ . مجمع الامثال ٢ / ٢٢٣ .
(٦٢) أمثال العرب ١٦٢ . جمهرة الامثال ٢ / ٣٥ .
(٦٣) أمثال العرب ١٢٧ . البيان والتبيين ١ / ١٦٢ وانظر المثل الثاني في شرح التبريزي على سقط الزند ص ٦ حيث ورد ايضاً على لغة من يجري الاسماء الخمسة مجرى الاسماء المقصورة فيقال : هذا أخاك ولقيت أخاك .
(٦٤) الامثال لابي عبيد ٣٠٢ .
(٦٥) مجمع الامثال ٢ / ١٨٧
(٦٦) مجمع الامثال ٢ / ١٨٦
(٦٧) لسان العرب ٤ / ٤٣٠
(٦٨) مجمع الامثال ٢ / ١٨٧
(٦٩) الامثال في النثر العربي القديم ٩٥
(٧٠) تاريخ الرسل والملوك ١ / ١٧٩ حوادث سنة ١٦٩ .
(٧١) أمثال العرب ١٤١
(٧٢) الدرة الفاخرة ١ / ٦٥
(٧٣) الفاخر ١٧٧
(٧٤) مجمع الامثال ١ / ٦٨
(٧٥) مجمع الامثال ٢ / ١٨٩
(٧٦) مجمع الامثال ١ / ٣٢٩
(٧٧) الامثال العربية القديمة ٥٣
(٧٨) معجم ما استعجم ١ / ٨٨ للبكري . القاهرة ١٩٤٧
(٧٩) أمثال العرب ٨١
(٨٠) أمثال العرب ٩٨ - ٩٩
(٨١) أمثال العرب ٩٩
(٨٢) أمثال العرب ٩٨
(٨٣) أمثال العرب ٩٦ - ٩٧
(٨٤) أمثال العرب ٩٨
(٨٥) أمثال العرب ١٣٠ وفي المعارف لابن قتيبة ٦٠٥ والكامل لابن الاثير ١ / ٥٢٤ أن البسوس اسم امرأة وهي بنت منقذ التميمية خالة جساس وناقتها يقال لها سراب وقد رعت مع ذوق جساس في مرعى كليب .
(٨٦) أمثال العرب ٧٨
(٨٧) أمثال العرب ٧١
(٨٨) راجع الكامل في التاريخ ١ / ٦٤٨ (بيروت ١٩٦٥)
(٨٩) أمثال العرب ١٦٨
(٩٠) أمثال العرب ١٢٢
(٩١) أمثال العرب ١٦٩
(٩٢) يجد القارىء في شرح الانباري للمفضليات ص ٣٢٧ أن ابن هشام بن محمد الكلبي الاخباري الشهير يروي عن المفضل بعضاً من يوم كلاب تميم .
(٩٣) أيام العرب واثرها في الشعر الجاهلي للاستاذ منير الجبوري ٧٧ . بغداد ١٩٨٦ .
(٩٤) تاريخ الادب العربي للمستشرق بلاشير ٣ / ٤٦٨ ، ٤٧١ دمشق ١٩٧٤ . ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني .
(٩٥) تنظر رواية المفضل لاخبار طسم وجديس في الاغاني ١١ / ١٦٤ - ١٦٩ . طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣ - ١٩٧٤
(٩٦) أمثال العرب ١٦٠
(٩٧) تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ١ / ٢٥٣ . بغداد .
١٩٥ (٩٨) سورة العنكبوت آية ٣٨ ١٠ ٩٩) سورة الروم آية ٩
(١٠٠) سورة ق آية ١٢ - ١٤ ، ١٠١) سورة الدخان آية ٣٧
(١٠٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ١ / ٦٥٠ - ٦٩
(١٠٣) انظر اخبار طسم وجديس في تاريخ الطبري ١ / ٣٥١ وانظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ١ / ٢٥٣
(١٠٤) تاريخ العرب قبل الاسلام ١ / ٢٢٩ ، ٢٥٣ - ٢٥٤
(١٠٥) أمثال العرب ١٤١
(١٠٦) راجع تاريخ الطبري ١ / ٤٣٩ - ٤٤١ والكامل لابن الاثير ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣
(١٠٧) أمثال العرب ١٤٣ - ١٤٨
(١٠٨) الاغاني ١٥ / ٢٥٤
(١٠٩) تاريخ العرب قبل الاسلام ١ / ٤٢ . الامثال في النثر العربي القديم ٣٩ . تاريخ الادب العربي لبلاشير ٣ / ٤٦٦
(١١٠) تاريخ العرب قبل الاسلام ١ / ٤٢
(١١١) الامثال في النثر العربي القديم ٣٦ - ٤٠
(١١٢) أمثال العرب ١٧٧ - ١٧٨
(١١٣) دراسات في الادب الجاهلي للدكتور عادل البياتي ١٤٨ . الدار البيضاء ١٩٨٦
(١١٤) الامثال في النثر العربي القديم ٥٣
(١١٥) أمثال العرب ٨٢
(١١٦) أمثال العرب ١٧٢ وانظر مقدمة محقق الكتاب ٤٢
(١١٧) أمثال العرب ١١٤ ، ١١٩ ومقدمة محققه ٤٣
(١١٨) أمثال العرب ١٦٢
(١١٩) أمثال العرب ١٦٢
(١٢٠) البيان والتبيين ١ / ٣٦٥
(١٢١) البيان والتبيين ١ / ١٨٤
(١٢٢) ثمار القلوب للثعالبي ٣٢٢ . القاهرة ١٩٥٣
(١٢٣) البيان والتبيين ١ / ١٩٠